مناهج الدراسة ومفرداتها في اللغة العربية

د. سهام جبار

ثمة حاجة فعلية لقيام تغيير منهجي فاعل في الدراسات اللغوية والادبية الجامعية، لبناء معرفة لا تقوم على التعريف أو عند حدود الأوليات فقط مما يتعهده الأكاديميون المتزمتون ودعاة السلفية والانغلاق الفكري، بل ينبغي أن يأخذ التغيير مساره إلى عمق (التجربة) المنهجية التي اتسعت بعد ظهور علوم اللسانيات وما تفرعت اليه من حقول واتجاهات لا يمكن غض النظر عنها او الانزواء عن اشعة سياقاتها وأصولها ومعطياتها من ان تمسنا بضوء فينقض ما التففنا حوله منذ قرون من ركام صنمي لا ننفك عن تقديسه والانحناء تحته.

ان ما ينقص الطالب الجامعي في ما يتلقى من دروس في اللغة والنحو والأدب والبلاغة ومناهج البحث وما اليها.. لكبير، فمن جهة ثمة تعريض يوجهه المعنيون أنفسهم في الملتقيات والاجتماعات والمجالس بمستوى اتقان الطالب للغته وللأداء الكلامي ولما ينبغي أن يكون قد لقن اياه من موروث ومن التزام وادراك لصيقين بالطاعة لهذا الموروث ولمثليه، هذا التعريض غير المنسجم مع الانكباب على هذه المهمة بانكفاء وادعاء لـ (الخصوصية) العربية التي تجد مثالها في التشبث بقدسية الماضي، التي كثيراً ما تدمغ بحجج باهرة عن قدسية النص الالهي الذي وجدت اللغة العربية من أجله، كأن لا حاجة لهذه اللغة خارج اطار هذه القدسية، ومن جهة أخرى يعم الخواء الفكري والجمود العقلي إلى حد، انعدام الاحساس بمصيبة خفوت القدرة المنهجية عند الدارسين وتكرار الدراسة على منوال واحد، وكثيراً ما أشكتى المتخصصون باللغة من نفاد الموضوعات الصالحة للدراسة في حقل اللغة، اما المتخصصون بالأدب فعندهم مجال ارحب قليلاً بحكم اطلاق سراح الادباء المحرمة دراستهم في عهد النظام السابق، ولكن بأية طريقة تتم الدراسة أو على اية اسس تعتمد؟ فذلك سؤال غائب، المهم ان لا تتكرر عناوين الرسائل الجامعية من دون تصور لمديات الاختلاف المنهجي ووسائل الباحث وأدواته في الدرس، والارتهان دوماً إلى تاريخ الادب.

لقد تمكنت الاصوات السلفية المسيطرة على مواقع توجيه الدراسات الاكاديمية من حجب اية فرصة للتغيير في مفردات الدراسة وفي تعميقها، وأن ما هو موجود من حصص دراسية على مدى الأعوام الاربعة التي يدرس خلالها طلبة قسم اللغة العربية في الكليات الانسانية، قد مهر بختم ما يدعى باللجان القطاعية المتكونة من أساتذة مفضلين على اسس، هي غير اسس التمييز العلمي والنشاط البحثي، وان الامور تظل على حالها في ارجاء مستمر في ظل غياب عملية انتخاب الطاقات المتميزة، التي لا يكون من صالحها التصويت بحكم ان اغلبية الملاكات التدريسية متقاربة المستوى ان لم نقل انها على مستوى متواطأ عليه، خاصة مع ضم تدريسيين إلى ملاكات الاقسام بعد ان نشأوا طلبةً في ظل واقع معلوم وميسر لمثل هذه الاستمرارية، في ظل عرابيهم من ارباب ابقاء الوضع على ما هو عليه.

ليست المطالبة بتغيير مناهج الدراسة ومفرداتها في اقسام اللغة العربية بمجدية في نطاق الاجتماعات الخاصة بكل قسم، خاصة مع وجود مركزية في هذا الشأن ترتبط أو ارتبطت في السنين السابقة بسياسات النظام الغابر وممثليه ممن يمارس عمله الآن دون أي خروج عن هذه السياسات فهي تضمن الحفاظ على المواقع، والبقاء على الجهل المستشري بين جموع الشباب الذين قد اعتادوا السهولة والتدني منهم ومن تدريسييهم، أو انهم لم يدخلوا غمار معرفة مختلفة الا بحدود لا تكاد تخرجهم من سباتهم، ففي غياب كل رافد علمي متأت من الغرب (بحكم ان الطفرة المنهجية - ولا بد من أن نعترف بذلك - قادمة من الحضارة الغربية ونهجها التقدمي غير المنكفئ على ذاته) في غياب كل اطلاع على الخصائص والمفاهيم والأصول والمعارف للآداب والمعطيات النقدية والفلسفية والعلمية يتخلف الطلبة كل يوم حتى ينالوا شهادة التخرج - شهادة التحرر من أيما استزادة معرفية أو قراءة أو حوار والاستسلام لثقافة الشارع المتسيدة والتاركة أثرها على حياتنا عامة وفقداننا لأمننا ولإدراكنا ولخياراتنا الانسانية - في غياب كل قراءة او بناء معرفي يزداد ركام القصائد الرنانة وينحسر مد التفكير واستثمار آليات العقل وخبرات الوجود.. يظل يردد الفية ابن مالك قانعين زاهدين بنتاج أفذاذ الانسانية الذين وسعوا افقها وجددوا ثمرها العقلي والنفسي والروحي بما ينبغي ان يتذوقه طلبة المعرفة اللائقين بها.

الجندي يتكلم

محمد الحمراني

-١-

لا علاقة لي بدماء الاشجار
الاطفال يعرفون ذلك
ولكن حين سقط اسمي
في ساحة المعركة
اجبروني ان ازرع الغاما
عندما اضع غضبي في مكان ما
..... ينفجر
أعطي ظهري للحرائق
واقول: انها مشكلة الاطفائيين
والا ماذا يعني هذا الدخان؟
عندما يشتمني الاصدقاء
اعترف....
ان لا يداً لي بانفجار الحدائق
دائما احلم ان ازرع قمحاً
ولهذا من دون ان اعلم
تركوا الغامهم في اصابعي.

-٢-

لم يبق الحب بجواري
انهم يحرقون الارض
لتتساقط كلماتي اشبه بهياكل
انهم يحرقون سعادتي
وجوههم ارغفة متعفنة
يتبخر منها الضوء.
كلما حاولت ان اشعل نيران العاطفة
تغلي في احشائي معارك
لا تمت بصلة لجسدي
ماذا افعل حتى اخلع
الاسلحة من القلب؟
انه الموت.... يزحف مثل رضيع
يترك بصماته بهدوء على عنقي
من موضع أكتب اليك
الوح بعنف
مزقي الذاكرة
ماذا يعني ان تعيشي مع الظل؟

قصة قصيرة

الشلال

نزار عباس

على بعد خطوات من الشلال الهادر، وضعوا كراسي وموائد، جلس عليها السياح، وكان رذاذ الشلال، يتطاير على الوجوه الفرحة الضاحكة..

-انه مكان رائع، قال، اليس كذلك؟

رفعت رأسها عن الكراس السياحي الذي كانت تتصفحه، قالت: لقد ضجرت، أن صوت الشلال ملأ رأسي بالصداع...

قال: حسناً: ان في المصيف أماكن اخرى، نستطيع ان نرتادها..

قالت: افضل العودة إلى الفندق. انني متعبة.

قال: لنذهب سوية.

قالت: لا.. أفضل ان أتمشى وحدي.. الفندق قريب.

خرجت. تركته، كان الشلال يهدر، وكان بعض الاطفال يلعبون على الصخور المتناثرة على الأرض، بين المياه قريباً من الكراسي والمناضد.

قال لنفسه ما العمل؟ ثم طلب قنينة أخرى من البيرة..

عندما كان مدرساً في الجامعة، كانت هي احدى طالباته. لا ينكر انه اعجب بتكوينها الجسدي الشهي، قبل ان يعرف عنها أي شيء.. ولماذا يعرف؟ وعندما كان يجري الحديث مع اصدقائه حول الحب والزواج، وعن ضرورة ان يكون الحب او الاعجاب أو الصداقة ضرورياً لمثل هذه الامور، كان يفضل عبارة قرأها لأحد الكتاب، لا يدري متى، ومن هو الكاتب. كانت العبارة تقول: ان ثمة اثمار لا تنضج إلا بعد سقوطها..

هو، اعتبرها ثمرة. اعتبر هذه البنت ثمرة، فهي بعد الزواج، لا بد أن تبادله الحب والاعجاب..

طيلة الاشهر الاولى من الزواج، الذي تم بسهولة وبسرعة، إذ كانت عائلتها فقيرة، لم تصدق ان استاذاً جامعياً سوف يتقدم لأبنتهم.. طيلة تلك الاشهر، كانت كثيرة الوجوم، قليلة الكلام، تؤدي واجبها الزوجي، كما لو كانت تمارس عملاً لا بد منه... حاول بشتى الوسائل اسعادها. ان يراها تضحك من القلب، تلتهب معه في الفراش. تشاركه اهتماماته بهذا الموضوع او ذاك. انتقل الملل اليه ايضاً وظل ينتظر سقوط الثمرة...

قالت له وعلى وجهها ابتسامة فرحة، لماذا لا نعود إلى المصيف الذي قضينا فيه ايام العسل؟ قال لم لا؟

وجاء بها إلى المصيف.. كل ذلك تذكره وهو يجلس وحيداً، بعد ان ذهبت وحدها إلى الفندق.

طلب قنينة أخرى من البيرة.

كان الشلال يرتدي لوناً فضياً لامعاً بعد ان اضيئت انوار المكان، اما هو فقد شعر بالوحدة تماماً، واكتشف وهو في غمرة تفكيره، وبعد نظرة سريعة إلى المكان، بأنه قد اصبح مقفراً، ولم يبق إلا نادل وحيد يجلس بعيداً عنه...

قال، ربما هو البرد، ربما هو الليل، ربما هو موعد العشاء، وجد ان بقاءه في المكان، صار لا يشعره بالوحدة فقط، وانما بالذل، ايضاً هكذا، كأن شيئاً لم يكن، هكذا يجلس وحيداً وسيعود إلى الفندق وحيداً، وربما ينام. وحيداً ايضاً. انه يتوقع ذلك، ومن يدري فلعل كلماتها عن الصداع، كانت اشارة مسبقة إلى انها ستنام، وانها غير مستعدة للقائه في الفراش... فاين هي الثمرة، ومتى تنضج؟ ابتسم بالم وكانت قطرات الشلال المتناثرة، تبعث فيه شعوراً بان المرء قد يتخذ في لحظات قرارات سخيفة تؤدي في النهاية إلى حياة اكثر تفاهة وسخفاً.

ما الجسد، وما اللذة، ما قيمة كل ذلك إذا كنت تعانق امرأة بلا شوق ولا حرارة، تقبل شفاهاً باردة وتمارس حباً بلا تجاوب؟

ما اجمل مياه الشلال وما أنقاها، ولكنها تفقد كل ذلك حين تلامس الحجر والطين والتراب وفروع الاشجار المتسكرة، تدخل المدن فتفقد نقاءها وسرعتها، تتحول إلى برك آسنة... كان الخيال يذهب به بعيداً، وهل يملك سواه، تأملات وهواجس. ووقع خطاه على الدرب في طريقه إلى الفندق، توحي إليه بانه سوق لن يجدها، وان وجدها فما الفرق!

عندما صعد إلى الغرفة في الفندق، فتح باب الغرفة بهدوء. كانت تتمدد على السرير، يتكئ رأسها على المخدة، تقلب مجلة مصورة.

رفعت رأسها قليلاً عن المجلة، ثم عادت من جديد تقلب أوراقها كان الصمت يغلف الغرفة، وكان هو واقفاً أمام السرير.

في تلك اللحظة لا يدري كيف أتخذ قراره.

قال: سنعود إلى المدينة غداً.

لم ترفع رأسها عن المجلة، قالت ولم لا؟ لا فرق عندي المدينة أو المصيف...

كان جواباً متوقعاً. انه لا جواب...

هي كذلك دائماً.

جلس على الكرسي بعيداً عنها قليلاً، ثم اشعل سيجارة وكان الصمت هو كل شيء، لا الثمرة بقيت على الغصن، ولا سقطت بعد النضوج، قال لنفسه وابتسم، كانت المرأة تواجهه، رأى ابتسامته المؤلمة، قال لنفسه إنها تشبه الابتسامة الاخيرة للمصلوب لا يدري أحد لمن هي موجهة، وهل هي مجرد تشنج بسيط، أهي نابعة من الفرح أم من القبول بالقضاء والقدر، أم هي تتجه إلى شخص ما في الأفق البعيد، يسخر منه، يحبه، يتوقع ما حدث، ربما كان هو نفسه.

وكان صوت هدير الشلال يتراجع، وخيل اليه انه قد كف عن السقوط من الأعالي، او ان الفندق قد صار بعيداً جداً، ولم يلبث ان أغفى، على الكرسي المجاور لسريرها..

متابعات

مئوية يحيى حقي في احتفالية عالمية

افتتحت قبل أيام بالقاهرة أعمال الندوة العالمية (وجوه يحيى حقي) التي تقام احتفاء بذكرى هذا الكاتب والمثقف الموسوعي المصري بعرض فيلم تسجيلي عن حياته.

وتضمن الفيلم التسجيلي الذي يعرض لحياة الراحل مقابلات يؤكد فيها أنه ابن لثورة ١٩١٩ التي قادها حزب الوفد والزعيم الراحل سعد زغلول، كذلك انحيازه للطبقات الشعبية التي عاش بينها بحي السيدة زينب الشعبي وسط القاهرة.

وبعد ذلك ألقى الروائي العراقي فؤاد التكرلي كلمة باسم المثقفين العرب أشار فيها إلى تجربة شخصية له مع حقي قبل ٣٥ عاما، عندما أرسل له قصة قصيرة باللهجة العراقية فنشرها بعد أن قدم شروحات للكلمات العراقية.

من جهتها أشارت المستشرقة البريطانية ماري كوك بكلمتها إلى تجربة حقي الإنسانية، مؤكدة أنه ركز على القيم الايجابية لدى المجتمعات البشرية المختلفة سواء بالشرق أم الغرب.

أما الروائي المصري خيري شلبي الذي ألقى -هو الآخر- كلمة المصريين المشاركين بالاحتفالية فقد أشار إلى تجربة واسعة للراحل شملت مختلف الميادين، فإلى جانب القصة والرواية التي يعتبر أحد روادها العرب كان لعمله الدبلوماسي تأثيره الكبير حيث وسع علاقاته مع الثقافة العالمية.

واختتم الحفل الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة جابر عصفور متحدثا عن الدور النهضوي الذي لعبه حقي باعتباره واحدا من المثقفين الليبراليين العظام الذين كتبوا بكل عناوين الثقافة مثل طه حسين والعقاد والمازني وغيرهم.

وأضاف أن الراحل كان جسورا في الثقافة والنقد ويملك روحا ساخرة، وأول من وجه انتقادات للثورة الجديدة بعد بروز اتجاهات دكتاتورية فيها بكتابه "صح النوم" الذي صدر عام ١٩٥٤.

يُذكر أن الندوة التي استغرقت ثلاثة أيام نظمها المجلس الأعلى للثقافة المصري والمنظمة الدولية للعلوم والتربية والثقافة "يونيسكو" تقديرا للقيمة الفكرية والإنسانية والإبداعية التي يمثلها الروائي والقاص والناقد الفني والأدبي والمسرحي يحيى حقي.

رحيل المفكر أنطوان مقدسي

فقدت الأوساط الفكرية والأدبية المفكر السوري أنطوان مقدسي الذي توفي عن ٩١ عاما. حسبما أعلنت يوم الجمعة مصادر قريبة منه والتي أكدت رحيله مساء الاربعاء الماضي.

ورغم أن المفكر الراحل يعتبر من صانعي الوحدة بين حزب البعث والحزب الاشتراكي العربي برئاسة أكرم حوراني الذي نتج عنه حزب البعث العربي الاشتراكي. فإنه لم يتردد في توجيه رسالة مفتوحة إلى الرئيس السوري بشار الأسد لدى خلافته والده حافظ الأسد في السلطة.

وجاءت هذه الرسالة على شكل رسالة وهمية إلى حفيده. استفاض مقدسي فيها بالحديث بعبارات هجومية عن ما سماه قمع الدول العربية التي تدعي التقدمية والتي أرست الاستبداد بحجة إرادة تسريع التاريخ.

وانتقد بشكل لاذع الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر -بطل القومية العربية- لإقدامه على تحرير مصر من الإمبريالية ولكنه -على حد قوله- أتى بحكومة عسكرية قمعية.

والمقدسي الذي ولد في ١٩١٤ يعد من أبرز المفكرين السوريين ونشط في السنوات الأخيرة خصوصا من حيث الدعوة إلى الديمقراطية والانفتاح. كما أنه أحد موقعي بيان الـ ٩٩ الذي يعتبر أول وثيقة يوقعها مثقفون سوريون يطالبون برفع حال الطوارئ المفروضة منذ ١٩٦٣ في سوريا. إضافة إلى كونه أحد مؤسسي لجان إحياء المجتمع المدني في عام ٢٠٠٠.

يذكر أن الراحل تولى رئاسة قسم الترجمة في وزارة الثقافة السورية من ١٩٦٥ إلى ٢٠٠٠ واشتغل أستاذا محاضرا في كلية الفلسفة في جامعة دمشق في الفترة نفسها، وقد عمل على ترجمة أعمال مفكرين وفلاسفة مثل أفلاطون وسقراط وكارل ماركس. إلى اللغة العربية.

سيكوتين.. مجموعة قصصية جديدة

صدر للقاص المسار عبد المحسن راضي مجموعة قصصية تحمل عنوان سيكوتين.

هذه المجموعة ممر إلى الفردوس المنشود الذي ينتظره كل واحد منا ولا يأتي.

ونجد كذلك في هذه المجموعة القصصية أن القاص قد استعان بمجموعته بكل ما يساعده على الغور في سير التحليق بعيداً عن الكلاسيكية المعهودة لدى الكثيرون.

امام عمل ادبي لاديب شاب يصعب فهم ادبه ألا بغد اكمال قراءته قراءة كاملة.

ان الابداع الادبي هو تعبير عن الوجدان الذي ينطوي على موقف مثلما هو رسالة مهمتها ان تكون قادرة على منح الجمال وقيم المعرفة. ان من بين العديد من قصص المجموعة هناك مقطوعات تشير اسطرها إلى شاعرية مضافة إلى موهبة القاص.